خصائص المقاصد في القصص القرآني

إعداد بُراق فاضل عباس

إشراف أ. د. محمد طالب الحسيني

كلية العلوم الاسلامية / جامعة بابل

Characteristics of the objectives in the Quranic stories

Prepared by Basuraq Fadel Abb
Supervision of Dr. Muhammad Talib al-Husseini
College of Islamic Sciences / University of Babylon
Km.cnd065@hotmail.com
Qur.mohammed.talib@uobabylon.iq

Abtract:

The research on the purposes of the Noble Qur'an is of great importance represented in revealing the purpose of the divine text and revealing its illuminating constituencies. This is what achieves the supreme goal of the divine message in delivering the meanings of the book to the minds of Muslims in a sound manner free of lies and myths and this is what is achieved through accurate scientific research based On static guides Especially with regard to the objectives of the Qur'anic story distinguished from other human outputs of stories and narratives with realism, correctness of events, proven goals and soundness of results. The first chapter is titled Rabbinical Source, the second chapter is titled Universality, the third chapter is titled Humanism, the Fourth Chapter is titled Complementarity and Comprehensiveness, the Fifth Chapter is titled Realism and Evidence, then a conclusion that includes a summary of the research, then an Index of Sources and References.

Keywords: characteristics, intentions, stories.

الملخص:

إنَّ البحث في مقاصد القرآن الكريم لهُ أهميةٌ بالغة تتمثل في الكشف عن غاية النَّص الإلهي والكشف عن مكنوناتهِ النورانية وهذا ما يحقق الهدف الأسمى من الرسالة السماوية في إيصال معاني الكتاب إلى أذهان المسلمين بشكلٍ سليمٍ خالٍ من الأكاذيب والخرافات وهذا ما يتحقق من خلال البحث العلمي الدقيق القائم على أدلةٍ ثابتة ، وبالأخص فيما يتعلق بمقاصد القِصَّة القرآنية المتميزة عن سائر النتاجات البشرية من القصص والروايات بالواقعيةِ وصحة الأحداث وثبوت الغايات وسلامة النتائج ، فجاء هذا البحث اليسير معتمداً المنهج التحليلي والمنهج المقارن ، وتضمنت خطة البحث مقدمة عن الموضوع ، وتمهيدٍ يمثل مقاربة اصطلاحية في عنوان البحث ، وثلاثة مباحث، المبحث الأول بعنوان ربانية المصدر ، والمبحث الثاني بعنوان العالمية ، والمبحث الثالث بعنوان الإنسانية ، ثم خاتمة تضمنت خلاصة البحث ، ثم فهرس المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: خصائص، المقاصد ، القصص.

المقدمـــة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، ديان الدين ، فاطر السموات والارضين ،والصلاة والسلام على رحمة الله المرسلة للعالمين سيد الاولين والآخرين ، وخاتم الانبياء والمرسلين، أبي القاسم محمدٍ وعلى آله الغر الميامين ، حَمَلَةِ كتابهِ ودعاةَ أمرهِ والذابين عن رسالته، عليٍّ وأبنائهِ الطاهرين..وبعد..

فأنَّ للقرآن الكريم بحورهُ الزاخرة وفيوضاتهِ النورانية التي أنعم الله تعالى بها على العالمين جميعاً والباقية إلى يوم المعاد ، ولما أودع الله تعالى فيهِ من الثقافات الباهرة والمعارف الغزيرة والأسرار الجليلة، فكان لا بدَّ أنْ يكون هو الكتاب الأولى بالمُدارسة لعلومهِ والتنقيب في كنوزهِ ؛ لأنَّ في حِكَمِهِ وأحكامهِ حلولاً ناجعةً لمشكلات الأُمة الإسلامية ، ودواءً لأسقامِ المجتمع الإنساني كافة ،وهذا لا يتأتى الاَّ باعتماد علم التفسير؛ للنهوض بهذه المهمات العظيمة من أجل الصلاح والإصلاح ، وهذا ما يسترعي الوقوف على مقاصد هذا السفر الخالد وتوظيفها ضمن منهجٍ علميّ في البحث يتابع معطياتها ويستوحي من النَّص الكريم نفحاتها ، وكما أنَّ للقصة الواردة في القرآن الكريم أهميةً عظمى خصوصاً وهي تشغل ثُلُث القرآن ، تترامى أطرافها بين السور الكريمة ،وتُعرض بأشكالٍ متعددةٍ بين آي الذكر الحكيم ، وكل ذلك يندرج تحتهُ غاياتٍ متعددة وأهداف سامية ، فكان من الأجدر تسليط الضوء على هذا الجانب الكبير من الوحي الإلهي ، ولذا كان من المهم تبيين أهم الخصائص المتعلقة بالمقاصد الواردة في القَصص القرآني ، للحصول على ريعِ هذه المنحة الربانية بهيئة صورٍ من أروع المعاني وأنبل المواعظ ، وبالتالي فإن البحث الدقيق والملاحظة العلمية هما أداتا العمل في هذه الدراسة الاكاديمية، وكان المنهج الاستقرائي التحليلي هو المنهج المعتمد فيها بالإضافة إلى المنهج المقارن، وقد انتظم هذا البحث في مبحثٍ تمهيدي تضمن مقاربةً اصطلاحيةً في عنوان البحث ،وثلاثة أبواب ،الباب الأول بعنوان ربانية المصدر ، والباب الثاني بعنوان العالمية ، والباب الثالث بعنوان الإنسانية ، ثم الخاتمة التي تمثل خلاصة البحث وأهم نتائجهُ ، ثم قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد : مقاربة اصطلاحية في عنوان البحث.

المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة (خصائص) :

المعنى اللغوي :

قيل خصص أي خَصَّهُ بِالشيْءِ يخُصّهُ خَصّاً وخُصوصاً وخَصُوصِيةً ، وخصّصَهُ واخْتصّهُ، أَفْرَدَه بِهِ دُونَ غَيرِهِ. وَيُقَالُ: اخْتصّ فلانٌ بالأَمر وتخصّصَ لَهُ إِذا انْفَرَدَ، وخَصّ غيرَهُ واخْتصّهُ بِبِرّهِ. وَيُقَال: فُلانٌ مُخِصٌّ بِفُلَانٍ أَي خَاصٌّ بِهِ وَلهُ بِهِ خِصِّيّة([1])،والخاصُ والخاصَّةُ، ضِدُّ العامَّةِ([2]).

---

[1] ينظر، لسان العرب ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري ت(711هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ ، 24/7.

[2] ينظر ، القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ت(817 هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ،617/1.

المعنى الاصطلاحي :

قيل إنَّ معنى الخُصوص أحَدِية كلّ شيء عن كلِّ شيء بتعينهِ، فلكلِّ شيء وحدة تخصّهُ، فالخاصُّ يعُطي معنى التفرد فيُقال: خُص فلان بكذا ، أي أُفرد بهِ ولا يشاركهُ أحدٌ فيه([3]).

المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة (مقاصد):

المعنى اللغوي:

قَصَد : ولها في اللغة عدةُ معانٍ منها، القَصْد: السهل المستقيم فيُقال طريقٌ قاصد وسفرٌ قاصد والمعنى الآخر ،القصد هو الاعتدال والتوسط بين الأمرين فيقال: القَصْدُ في المعيشة، أي التوسط بين الإسرافِ والتبذير ، والمعنى الآخر للقَصْد هو: الاعتماد والتَوَجُه، وقَصْدُك أي تجاهك ، والمعنى الآخر القَصْد: إتيان الشيء فيُقال : قَصَدْتهُ وقَصَدْتُ له ([4]).

المعنى الاصطلاحي :

ورد ذكر المقاصد اصطلاحاً مقترناً مع بقية المعارف من ذلك مع الشريعة فيما يتعلق بمعنى المقاصد ومسمَّاها ومتعلقاتها ، فمن جملة ما أوردهُ العلماء قديماً وحديثاً فيما يعُرف بـ (مقاصد الشريعة)أو مقترناً بالقرآن بما يُعبَّر عنهُ بـ (مقاصد القرآن) وفرقوا بين الأمرين كلّ حسب معناه ، وكذلك الحال بالنسبة إلى المعاصرين الذين كانوا أقرب إلى تعريف المقاصد ، بأنْ قالوا: هي الحكمة المقصودة بالشريعة ،وبأنَّها مطلق المصلحة ،وعُبِّرَ عنها برفع الحرج والمشقة وبتثبيت التخفيف والتيسير ،ويُعَبَّر عنها ايضاً بالكلياتِ الخمس وهيَ، حفظ الدينَ والنفسَ والعقلَ والنسلَ والمال ، ويُعَبَّرُ عنها ايضاً بالعلل الجزئية للأحكام الفقهية ، ويُعَبَّرُ عنها بلفظ المعاني ليبينوا بها على ما انطوت عليه الشريعة والأحكام من مقاصدٍ ومصالح ([5]).

---

[3] ينظر ، التعريفات ، علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني ت(816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ ،98/1 .99.

[4] ينظر ، كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ت(170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال،393/3 .

ـ ينظر ، معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس الرازي ت(395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ، 95/5.

[5] ينظر، فضل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، أبو الوليد بن رشد ت(595هـ)، ،تحقيق: د. محمد عمارة ،الناشر: دار المعارف . القاهرة ،ط: الثالثة ، 54.

ـ ينظر ، مذاهب الحكام في نوازل الاحكام، القاضي عياض ت(544هـ)،،تحقيق: د. محمد بن شريفة، دار الغرب الاسلامي ،135 .

ـ ينظر، ضوابط المصلحة في الشريعة الاسلامية، محمد سعيد البوطي ، مؤسسة الرسالة ـ دمشق ،ص 120.119.

ومن المتأخرين الذين تعرضوا لبيان معنى المقاصد الشيخ محمد بن الطاهر بن عاشور ت(1393هـ) في تعريفه لمقاصد التشريع العامة بأنَّها: المعاني والأحكام التي يلحظها الشارع في كافة أحوال التشريع أو أغلبها ، فلا تقتصر ملاحظتها على نوعٍ خاصٍ من الأحكام ،فيدخل في ذلك أوصاف الشريعة وغاياتها العامة ، وكذلك المعاني التي لا يخلو التشريع من ملاحظتها وتبيينها ،كما يشمل ذلك أيضاً معانٍ أُخرى من الأحكام ليست ملحوظة في باقي أنواع الأحكام ولكنها ملحوظة في أنواعٍ أُخرى متعددة ([6])،وفي تعريف آخر للمقاصد بأنَّها جزءٌ من المصادر الأساسية للتشريع الإسلامي فتُعد المقاصد إمارات للأحكام التي أرادها الله وأرشدنا إليها ([7]).

وفي موردٍ آخر عرفوا المقاصد بأنَّها ، الغايات والأهداف التي وُضِعتْ الشريعة من أجلِ تحقيقها لما فيها من مصلحة للعباد ([8]).

ومن خلال ما تقدم يتضح أنَّ التعريف اللغوي للمقاصد لا يبتعدُ في معناه عن التعريف الاصطلاحي من حيث القصد والغاية والتوجُّه، إلاَّ أنَّ التعريف الاصطلاحي أكثر عمقاً من حيث اقترانهِ بالشريعة والقرآن.

أمَّا في الاستعمال القرآني ورد معنى القَصْد بمعنى التوسط والاعتدال بين أمرين وكذلك بمعنى التتبع ، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢ ﴾ فاطر: ٣٢

فالمراد بـ (المقتصد) هو المتوسط في قصد السبيل وفي سواء الطريق، أمَّا السابق بالخيرات فهو الذي سبق الظالم والمقتصد إلى درجات القرب من الله تعالى بسبب فعل الخيرات([9]).

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩ ﴾ لقمان: ١٩

ومعنى اقصد في مشيك ، أي اعدل فيه ليكون مشياً بين مشيين ، فلا يكون مشياً بطيئاً كدبيب المتكاسلين ، ولا يكون مشياً سريعاً ، وإنَّما يكون مُسدَّداً في المشي، كما يكون قصد الرامي إذا سَدَّدَ سهمهُ نحو الهدف([10]).

---

[6] ينظر، مقاصد الشريعة الاسلامية، ابن عاشور،،تحقيق: حاتم بوسمة ،دار الكتاب اللبناني . بيروت ،2011م ،82.

[7] ينظر، مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها ، علال الفاسي (1394هـ)،،دار الغرب الاسلامي ،الطبعة الخامسة 1993م ،ص 45.

[8] ينظر، نظرية المقاصد عند الامام الشاطبي، احمد الريسوني ، ،تحقيق : طه العلواني ،المعهد العالمي للفكر الاسلامي / الولايات المتحدة الامريكية ، 1995م ،ص 17.

[9] ينظر، الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ت(1402هـ) ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة ، 46/17.

[10] ينظر ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، جار الله الزمخشري ت (538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – 1407 هـ ، 497/3 ـ 498.

و قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ التوبة: ٤٢

والسفر القاصد ، هو السفر القريب والسهل ، فالمعنى أن لو دعوتهم يا محمد إلى المنفعة السهلة والعاجلة لبادروا إلى تلبية دعوتك سريعاً ، ولكنَّ السفر لمقابلة العدو في الصحراء وعواصفها الرملية فهذا لَنْ يرتضوه أبداً ، إلاَّ المؤمنين فهم يروضون أنفسهم على التقوى مهما كانت متطلباتها وصعوباتها تلبيةً لأمرِ الله تعالى([11]).

المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة(قِصَّة):

المعنى اللغوي :

قيلَ القَصُّ من قص الشاة وهو مشاش صدرها ،وهو القَصص أيضاً، وقصصتُ الشعر أي بالمقراض قصَّاً ،والقاصُّ يقصُّ القصص قَصَّاً ،والقِصة معروفة ([12])،وقيل القص قَصَّ أثرهُ ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ ﴾ الكهف: ٦٤

وكذلك اقتصَّ اثرهُ وتَقَصصَّ أثرهُ ،والقِصَّة الحديث، واقتصصتُ الحديث أي رويتهُ ، وقصَّ عليهِ الخبر قَصَصاً ،والإسم القَصَص بالفتح ([13])، وقيل اقتصَّ الأثر أي تَتَبعهُ ،والقاص من يأتي بالقصة ([14]).

القصة في الاصطلاح :

عرفها الرازي ت(606هـ)بأنها القصص : إِتبَاعُ الخَبَرِ بَعضُهُ بَعْضاً وَأَصلُهُ فِي اللُّغَةِ الْمُتَابَعَةُ وَإِنَّمَا سُمّيَتِ الحِكَايَةُ قَصَصًا؛ لِأَنَّ الَذِي يَقُصُّ الْحَدِيثَ يَذْكُرُ تِلْكَ الْقِصَّةَ شَيْئاً فَشَيئاً ([15]).

---

[11] ينظر ، التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ت(1400هـ)،دار الانوار للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ، 47/4 ـ 48.

[12] ينظر ،كتاب العين (مادة قصَّ)، الفراهيدي ، 395/3.

[13] ينظر، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (مادة قصَّ)، إسماعيل بن حماد الجوهري ت(393هـ)،تحقيق:أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، سنة النشر: 1990،ط: الرابعة ،1051.

[14] ينظر ، القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ،تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ،مؤسسة الرسالة/ بيروت ،الطبعة الثامنة 1426هـ ، 1/ 627 .

[15] ينظر، التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي ت(606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – 1420 هـ ، 18/ 417.

وفي موردٍ آخر عرَّفوا القِصَّة بأنَّها: مجموعة الأحداث التي يرويها القاص وتتناول حادثةً أو مجموعة حوادث تتعلق بشخصياتٍ إنسانيةٍ متعددة تختلف في سلوكها وأساليب عيشها ،وتأخذ دورها في القصة بحسب أهميتها ومدى تأثيرها ([16]).وقد وردت لفظة القَصص في القرآن الكريم في مواضعٍ عدة منها ما جاء في قولهِ تعالى :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾ هود: ١٠٠

أي نقصُّ عليك ما يقص من الاحاديث.

من خلال ما تقدم يتضح أنَّ التعريف الاصطلاحي مشتق من التعريف اللُّغويّ، وبعبارةٍ أخرى فإنَّ القِصَّة القرآنية هي مجموعة الأحداث السابقة التي يخبرنا بها الله تعالى ،وهي وسيلةٌ من وسائل التعبير التي شغلت مساحةً واسعةً من القرآن الكريم.

المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة (قرآن):

المعنى اللغوي :

قال ابن فارس ت(395هـ): (القرو حوض معروف ممدود عند الحوض العظيم ، ترده الابل.ومن الباب القرو ، وهو كل شيء على طريقة واحدة... ومنه القرآن ،كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الاحكام والقصص وغير ذلك) ([17]).

وقيل: قرأ الْكتاب قِرَاءَةً وقرآناً، تتبعَ كَلِمَاتهِ نظراً ونطق بهَا وتتبعَ كَلِمَاتهِ وَلم ينْطق بهَا، وَسُميت (حَدِيثاً) بِالْقِرَاءَةِ الصامتة، وَالْآيَة من الْقُرْآن نطق بألفاظها عَن نظر أَو عَن حفظ فَهُوَ قَارِئ والجمع قُرَّاء وَالشَّيْء قرءاً وقرآناً جمعهُ وضمَّ بعضهُ إِلَى بعض، والْقُرْآن كَلَام الله الْمنزل على رَسُوله مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وآلهِ وَسلم الْمَكْتُوب فِي الْمَصَاحِف وَالْقِرَاءَة وَمِنهُ فِي التَّنزِيل الْعَزِيز ([18]).

كلمة (القرآن) في الاصطلاح:

قال الفيروز آبادي ت(817هـ)القرآن: اسم للكتابِ المبدوء بسورةِ الفاتحة والمنتهي بسورة الناس وسُميَّ بهذا الاسم؛ لاجتماع الحروف والكلمات والأحكام والحقائق والمعاني ([19]).

وعَرَّفهُ محمد هادي معرفة ت(1426هـ) بأنَّهُ: اسمٌ للكتاب المنزل على النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، وهو حافلٌ بمعاني شريعتهِ وآيةً باقيةً لتدلَ على صدقِ رسالتهِ، حتى يكون هذا الكتاب تبياناً لكلِّ شيء وهدىً ورحمةً للعالمين كافةً([20]).

---

[16] ينظر ، فن القصة ، د.محمد يوسف نجم ، ،دار بيروت للطباعة والنشر . بيروت ،ص 7.

[17] معجم مقاييس اللغة (مادة قرو)، ابن فارس، 5/ 78-79.

[18] ينظر، المعجم الوسيط، احمد الزيات، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة 722/2.

[19] ينظر، بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية / لجنة إحياء التراث الإسلامي ـ القاهرة،263/4.

[20] ينظر، التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة ، دار التعارف للمطبوعات . بيروت ،2011م ،ص 13.

وفي الاستعمال القرآني وردت لفظة (قرآن) في عدةِ مواردٍ منها ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ ﴿٦١﴾ ﴾ يونس: ٦١

ويمكن أنْ نشير هنا إلى بعض التعريفات لمصطلح القصص القرآني منها ما أوردهُ سيد قطب ت(1428هـ) بأنَّ القِصَّة القرآنية :هي وسيلةٌ من وسائل القرآن الكريم للوصول إلى غاياتهِ الدينية وتثبيتها، شأنها في ذلك شأن الصور التي يرسمها الكتاب الكريم لأحداثِ يوم القيامة والنعيم والعذاب وكذلك شأن الدلائل التي بينها لإثبات قدرة الله تعالى إلى غير ذلك من موضوعات الكتاب ([21]).

وقيل أيضاً: أنَّ القَصص القرآني هو صورةٌ من صور التعبير النثريّ ذو خصائصٍ فنيةٍ راقية وتأثير فذ في المتلقي بشكلٍ خاص ([22])،ويمكن القول من خلال ما تقدم : أنَّ القَصص القرآني هو أحداث وأخبار تتعلق بأقوامٍ وأُممٍ سابقة ،إلاَّ أنَّها أحداثٌ حقيقية فهي ليست من نسج الخيال ولا من قبيل الأساطير لأنَّها صادرةً من عند الله تعالى.

المبحث الأول : ربانية المصدر

تُعَدُّ هذه الخاصية من أبرز خصائص النص القرآني بشكلٍ عام والقَصص القرآني على وجهِ الخصوص ، إذ تُعدُّ وحدة المصدر الإلهي من قبل الله تعالى هي المحور الأساس للرؤية الكلية التي من خلال فهمها والإيمان بها يصبح الإنسان قادراً على بلوغ الاستقامة والقدرة العلمية في فهمهِ لكل ما حولهِ من شؤون الحياة، كما وأنَّ الكتاب الكريم قد أطلقَ للعقل البشري النظر فيهِ والتَدبُر في أحكامهِ والتأملِ في قَصصهِ وامثالهِ؛ لأنَّهُ أرادَ بذلك تحرير الإنسان من سلطة السحر والشعوذة والكهانة فيكون إيمانهُ مبنياً على يقين ومسنداً بالبراهين والدلائل([23])،وهذا الأمر بطبيعتهِ يؤكد مدى وَثَاقة المقاصد القرآنية وسلامتها من الزلل وبالأخص عندما تَكَفَّل الله تعالى بحفظ كتابهِ الكريم وحفظ السُنَّة الشريفة الشارحة لكتابهِ ([24])،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩

فإنَّ الله تعالى هو الذي وهب المنهج القرآني لكافةِ عبادهِ؛ لهدايتهم وصلاح أحوالهم وهذا الأمر يسترعي تكليف الرسل والأنبياء بمهامهم الرسالية على الرغم من إصرار الناس على التكذيب والعصيان والصدِّ عن طريق الحق والتمسك بمنهجِ الضلال وهذا ما يؤكد صدق المقاصد القرآنية وتمامها؛ لانبعاثها من لدن عالِمِ الغيب والشهادة([25]) ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ إبراهيم: ١

---

[21] ينظر ، التصوير الفني في القرآن، سيد قطب ، دار الشروق / القاهرة ،143.

[22] ينظر، قصص القرآن الكريم ،د. فضل حسن عباس ، دار النفائس/ الاردن ،ط: الثالثة ـ 2010م ،ص43.

[23] ينظر ، معالم في المنهج القرآني ، د. طه جابر العلواني ، ،67. 68.

[24] ينظر ، المقاصد العامة للشريعة الاسلامية بين الاصالة والمعاصرة ، د. احسان مير علي، دار الثقافة للجميع ـ دمشق ، ط: الاولى 1430هـ ،1/ 181.

[25] ينظر ، التصور الاسلامي للوجود ، حسن الحياري، دار البشير للنشر والتوزيع ، 52 ـ 53.

وبهذا يتضح للدارسين في كتاب الله تعالى ما تميَّزَ بهِ هذا الدستور المقدس عن سواه فيما منحهُ للنفس الإنسانية من حصانةٍ إزاء التفريط في الزهادة أو قتل النفس أو حرمانها من الحقوق التي أُبيحت لها من قِبَلِ الله تعالى ، كما تكفَّلَ بحمايتها من الإفراط في الاستجابة لمشتهيات النفس وإغراقها في غياهب الملذات المحرمة ،كما تميزت الأهداف القرآنية بشكلٍ أساسٍ في رفع النفس الإنسانية عن الإشراك بالله تعالى بكلِ أنواعهِ ومَنْعِها من العبودية لغيره([26])،وبهذهِ الأوامر والنواهي والمقاصد تصلح حياة الإنسان وتتكامل ويدرك الغاية الحقيقية من الوجود وبالتالي تكون النفس الإنسانية متوازنة بذاتها من حيث اتجاهاتها وأفعالها كما وتنسجم في طبيعتها مع المجتمع ، ومثال ذلك ما ورد في الذكر الحكيم من قصة نبي الله يونس عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾ الأنبياء:٨٧ - ٨٨

وفي نفس السورة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدًا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾ الأنبياء:٨٩ - ٩٠

فيتبين من خلال ذلك أنَّ الغرض الأصيل من ذكر مختلف القصص في القرآن الكريم ، هو أنَّ جميع الأنبياء يدينون ديناً واحداً ويخضعون للهِ ربهم الواحد الأحد ولا يُشركون بهِ شيئاً ، فنجد من سيرة الأنبياء أنَّ كلَّ واحدٍ منهم قد نَصَرهُ الله ونجَّاهُ من الكرب الذي وقع فيهِ كما نَجَّى يونس وكما استجاب لزكريا عليهما السلام ، وكما هو الحال في المؤمنين المصدقين باللهِ تعالى الذين ينعم الله عليهم بالفرج والنجاة، وفي ذلك دلالةً على ربانية دعواتهم وصدق مناهجهم([27]).

ولم يقتصر ذكر القِصَّة في القرآن على العبرة والموعظة فحسب ،ولم يرد سبحانهُ من ذكر أصحاب القَصص بيان عناية الله بهم أو التشهير بهم عند ذكر غضب الله عليهم كما يُفهم من ظاهرها، وإنَّما في ذكر هذه القصص عبرٌ وفوائد لا حصرَ لها للأُمم ولذلك نجد أنَّ القرآن الكريم لم يذكرها متتاليةً كما في كتب التاريخ بل يذكرها متفرقةً حسب المقام ويذكر من كل قصة أشرف مواضيعها ويترك ما هو من دونهُ ([28])،وبهذا تكون الحياة في الدين الإسلامي دار ابتلاءٍ لقدرة الإنسان على النهوض بشؤون هذه الخلافة فيظهر الفرق جلياً بين مَن بَذَلَ غاية جهدهِ

---

[26] ينظر ، مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الاسلام، انور الجندي ، الشركة المصرية للطباعة والنشر ـ القاهرة ،السنة الرابعة العدد الحادي والخمسون 1392هـ ،31.

[27] ينظر ، القصة في القرآن الكريم (بحث مقدم في مادة علوم القرآن)، احمد الجوهري عبد الجواد ، اشراف الدكتور عبد الرحمن محمد علي ، الجامعة الامريكية المفتوحة ،15.

[28] ينظر، التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد بن عاشور ت(1393هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984 هـ، 64/1.

في الخير والإصلاح وبين مَن أهملَ مسؤولياتهِ وسعى إلى الفساد والظلم([29])،ولذلك نجد أنَّ الأسلوب الرباني يعرض تاريخاً باذخاً لجهود الرسل والأنبياء التي بُذلَتْ من أجل ارتقاء الإنسان المؤمن ([30])،ولما تميزت بهِ القِصَّة التاريخية من طبيعةٍ ساحرةٍ ومؤثرةٍ في النفس البشرية فقد أدرك الكتاب الكريم هذا الميل الفطري والطبيعة المؤثرة واستخدم القِصَّة كوسيلةٍ للتربية والتقويم وذلك من خلال ما قدَّمَهُ العرض القرآني من قصصٍ للماضين من ذكر أخبارهم وبيان مواقفهم تجاه الدعوات الإلهية لهم ([31])،ومن خلال فهم آيات القرآن الكريم وإدراك مقاصدهِ الغائية يمكن لعقل الإنسان المسلم أنْ يستعيد قدرتهِ وأنْ يُصححَ طريقهُ الذي ينتهجهُ في الحياة ويُصلح منهجيته في التفكير ويكون دورهُ في المجتمعات دوراً هادياً مصلحاً يكون لهُ باعٌ طويلٌ في العطاء والإصلاح([32]).

وأنَّ الأديان السماوية في جميع الازمان والأجيال تدور حول أمرٍ واحدٍ هو التسليم للهِ وحدهُ في فرائضهِ وعزائمه ، وصرَّح الله تعالى بأنَّ كلَّ نبيٍّ جاء بعد نبيٍ آخر كان يبين صدقهُ بالنبي الذي سبقهُ وبكتابهِ ودعوته كما في تصديق المسيح عليه السلام لما بين يديهِ من التوراة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ المائدة: ٤٦

وهذه النصوص وغيرها الكثير تؤكد على وحدة الأُصول الشرعية وجذورها الربانية([33])،وبذلك فإنَّ أهم المقاصد للقصة القرآنية هي تثبيت العقيدة الصحيحة وهذا ما توحدتْ فيهِ دعوة الأنبياء جميعاً وتوحدوا على مضامينها العقدية([34]).

المبحث الثاني : العالمية

إنَّ دين الإسلام هو دين الله الثابت الخالد الخاتم للأديان السماوية والمشتمل على جميع مضامين الرسالات الإلهية السابقة فهو الهوية الصالحة إلى أبد الدهر قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ آل عمران: ١٩

---

[29] ينظر ، أزمة العقل المسلم ، د. عبد الحميد احمد أبو سليمان ، ، 146.

[30] ينظر ، عالمية الاسلام ، انور الجندي ، الناشر : دار المعارف ـ القاهرة ،67.

[31] ينظر ، الأثر النفسي للقرآن الكريم ، د. خليفة حسين العسال ،67.

[32] ينظر ، أزمة العقل المسلم ، د. عبد الحميد احمد أبو سليمان ، 149.

[33] ينظر ، مفاهيم القرآن ،جعفر السبحاني ، مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت ، الطبعة الاولى 1431هـ ، 114/3 ـ115.

[34] ينظر، قصص القرآن ، محمد بكر اسماعيل، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع/ مصر، ط: الثانية 1418هـ ، 13 ـ 14.

وهذا الدين الخالد والمتجدد مع اختلاف الأجيال وتوالي الدهور والذي لن يفنَ إلى قيام الساعة من البديهي أنْ يكون عالمي الدلالة شاملاً لكلِّ إنسانٍ على وجه البسيطة.

فالإسلام دعوةٌ انسانيةٌ عالمية أو دينٌ عالميّ كما يُقال في المصطلحات الحديثة ؛ لأنَّهُ يخاطب جميع الأُمم من دون تفرقة بدافع الجنسَ أو اللونَ أو القومية، كما أنَّهُ اعاد العوامل الجغرافية والتاريخية التي كانت مثاراً للتناكر والتنازع عبر الدهور إلى ما وجدتْ لأجلهِ بالأصل من عوامل التعارف والتعاون ، وهذا ما أثبتهُ الكتاب الكريم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾

سبأ: ٢٨

فكلَّ إنسانٍ في الأرض مؤهلاً لينضم إلى هذه الأُخوة الإنسانية ، فهذه المزية بينة ينفرد بها الدين الإسلامي عن سائر الأديان الأُخرى ولا بُدَّ من النظر إليها بصورةٍ صحيحة حتى ندرك أهمية هذه المزية([35])،فقد حدَّدَ سبحانهُ للمؤمنين في كتابهِ بيان النصر ، ووضح أساليب العمل وسُنن الكون والحياة وبَيَّن قوانين المجتمعات وسياسات الأُمم ، وكشف عن مجريات التاريخ البشري في ضوء هذه القوانين من خلال القَصَص القرآني([36])،وبذلك نجد أنَّ القرآن الكريم قد أخذَ من قَصص الأنبياء عليهم الاسلام موضوعاتٍ جوهرية لإثبات حجيتهِ في التوحيد وفي مصير المؤمنين والكافرين وفي الدلالة على صدق النبوة والرسالة السماوية الخالدة ([37])، وكما أنَّ القصص القرآني قد اشتمل على العديد من الأحكام الشرعية المستقاة من أحداثها وضرورة الإلتزام بتطبيقها ممَّا أعطى هذه الأحكام شرعيتها وصلاحيتها للعمل بموجبها في شتى الشرائع السماوية من خلال سرد قصة ابنَيّ آدم عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ٣٢ ﴾ المائدة: ٣٢

فقد ثبتت هذه الشريعة في كافة الشرائع السابقة وقد ذُكرت بحكمتها ونتيجتها التي هي إحياء الأُمة وفي إهمالها ضياع الأُمة وإهانتها([38]).

وهذا ما ورد صراحةً في الذكر الحكيم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ الأنبياء:١٠٧

---

[35] ينظر ، الاسلام والحضارة الانسانية ، عباس محمود العقاد ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ـ مصر ، 185. ـ ينظر ، المقاصد العامة للشريعة الاسلامية ، د. احسان مير علي ، 188/1.

[36] ينظر، عالمية الاسلام ، انور الجندي، 124.

[37] ينظر، القرآن الكريم هيمنته وخاتميته وعالميته وخلوده ، د. احمد علي الامام ، مجلة كلية القرآن الكريم ، العدد الاول 1427هـ ، 17.

[38] ينظر ، المعجزة الكبرى للقرآن ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، 213 ـ 214.

فقد أشارت الآية الكريمة إلى أنَّ رحمة النبي صلوت الله وسلامهُ عليهِ عامَّةً ، فإنَّ البشر في الدنيا المؤمن والكافر على حدٍ سَواء تشملهم هذه الرحمة ، فإنَّ التعبير بـ (العالمين) لهُ إطارٌ واسع يشمل جميع البشر على توالي القرون والأجيال ([39]).

المبحث الثالث: الإنسانية

إنَّ الرسالة الإسلامية الخالدة وكما هو ثابت ليست من نتاج العقل البشري بل إنَّها مُنَزَّلة من قبل الخالق العظيم ، وبالتالي فإنَّ منهج هذه الرسالة وقانونها المتمثل بالقرآن الكريم لم يختص بالدعوة إلى توحيد الله فقط ، وإنَّما اشتمل على خطط تنظم شؤون الحياة الإنسانية بعامة جوانبها وتحقق التوازن السليم بين متطلبات الروح والجسد ؛ فالإنسان ليس جسداً فقط حتى يتزود بالعلم مثل الآلة ولكنَّهُ كذلك يمتلك الجسدٌ والروحٌ والقلبٌ والعقل ولا بُدَّ أنْ يكون تنظيم شؤون الحياة الإنسانية مشتملاً لكلِّ هذه المكنونات الإنسانية ، وهذا التنظيم هو كُنهِ المقاصد القرآنية ألتي تسعى للنهوض بالإنسان كمخلوقٍ حيٍّ متطور تربط قلبهُ بربهِ ، وبالتالي أصبح دين الإسلام هو الأساس للحياة الاجتماعية([40]).

وبالتالي فإنَّهُ يمكن القول: بأنَّ للقرآن الكريم جانبين ينبغي التوجه إليهما ، الأول هو الجانب العقلي المتعلق بمنهج التدبر للوصول إلى المعارف القرآنية ، والجانب الآخر هو الجانب الروحي الذي يمثل الاتعاظ والاستفادة الروحية من الكتاب الكريم ، فإنَّ المفروض على العقل البشري والنفس الإنسانية تطبيق معطيات القرآن الكريم وبالأخص ما يتعلق بالقصص القرآني بما فيها من سننٍ الهية إلى قوانينٍ جاريةٍ تتكررُ بموجبِ الفعل والحدوث ([41])، فالدين الاسلامي يجد أنَّ الإنسان في الماضي والإنسان المعاصر على حدٍ سواء في أمس الحاجة إلى يقينٍ دينيّ يحقق لهُ السعادة ،وهذه الحاجة إلى الدين والاتصال الروحي بالله واستقاء المقاصد الإلهية من النص القرآني تنبع من احتياج الانسان إلى ركنٍ شديد يأوي إليه عند وقوع الشدائد والبلايا ، وهنا يأتي دور العقيدة الدينية التي تمنحه القوة عند الضعف والصبر في وقت العسر([42]).

ويمكن أنْ نبين المقاصد الإنسانية في الفكر القرآني بشكلٍ عام والفكر القصصي على وجهِ الخصوص متمثلاً في أمرين :

الأول: تنظيم المجتمع الإنساني ورقيهِ، وهذه الغاية نجد ما يؤكدها من خلال التتبع الدقيق للأحكام الشرعية ودورها في تنظيم الحياة الإنسانية التي لولاها لضاع الإنسان بين متاهات التردد باحثاً عن طريق الهداية والحق.

---

[39] ينظر ، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،بيروت/لبنان ، 293/8 ـ 294.

[40] ينظر ، موقف القرآن الكريم من الفكر المادي ، د. محمد طالب مدلول ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط: الاولى 1428هـ ،269.

[41] ينظر ، القرآن حكمة الحياة ، محمد تقي المدرسي، دار الكلمة الطيبة /بيروت، الطبعة الاولى 1415هـ ، 13 ـ 14 .

[42] ينظر ، الأثر النفسي للقرآن الكريم ، د. خليفة العسال ، 73 ـ 74.

الثاني: محاربة الأُسطورة في مجال العقيدة حتى يشعر المسلم بإنسانيتهِ التي أكرمها الله تعالى بنعمة العقل والتفكر([43])، ومثال ذلك ما جاء في سورة البقرة بالحديث عن سليمان عليه السلام قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ ﴿١٠٢﴾ ﴾ ال بقرة:١٠٢

فالآية الكريمة هنا تتعرض لشأنٍ من شؤون اليهود وهو تداولهم للسحر إذ كانوا يستندون في أصلهِ إلى قصة فيها ذكر من أمر سليمان عليه السلام والملكين ببابل هاروتَ وماروت ، واليهود كما هو معروف عنهم أهل تحريفَ وتزوير للوقائع ، فكانوا يزعمون أنَّ سليمان قد تولى هذا الملك العظيمَ وسخرَّ الجنَّ والإنسَ والوحوشَ والطيور من خلال السحر ، فجاءَ الرد القرآني على زيفِ ادعائهم بأنَّ سليمان عليه السلام لم يكن يعمل بالسحر؛ لأنَّهُ كفر ومحال أنْ يصدر من نبيٍ معصوم ، وما هذا الادعاء الاَّ من قبيل الأساطير والقصص الخرافية التي وضعتها الشياطين وتلوها على أوليائهم من الإنس([44]).

وبهذا يمكن القول: أنَّ الغاية العليا للإسلام، هو إيجاد التوازن في نفس الإنسان ويؤدي ذلك إلى تحقيق التوازن في المجتمع ،وفي الإنسانية كلها بعد ذلك، وبالتالي نجد في القرآن الكريم سجلّ لأحداثِ الأُمم ومستودعاً لأخذ العبر والدروس من قصص الماضين ونلاحظ كيف أنَّ السُنن الإلهية في تلك الأقوام جرت وفق ضوابطٍ ثابتةٍ لا تحابي أُمةً دون غيرها، والتاريخ البشري حافل بألوانٍ متعددةٍ من الصراعات على مستوى الأفراد والجماعات ، وقد لفت القرآن الكريم الأنظار إلى هذه الأخبار الماضية ودعا إلى السير والنظر في آثارهم وأحوالهم للذكرى والاتعاظ مما يؤثر على النفس بالانقياد للهِ والعمل بمنهجه، وهذا هو المقصد الأسمى من النظر في أحوال الماضين ، ففي القَصص القرآنيّ سجلاً حافلاً لمن يريد الاستقامة على طريق الهداية لما فيهِ من تربيةٍ للنفس وعلاجٍ للأمراض الإنسانية([45]).

ومن خلال النظر في قصص الأنبياء مع أقوامهم نرى أنَّ كلَّ قصة تبدأ في ظاهر الأمر بعباراتٍ متشابهة كأن يقول لهم الرسول ، اعبدوا الله واتقوه ولكنَّ قومهُ يكذبونهُ فيُنَزل عليهم الله تعالى العذاب الأليم مثال ذلك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ * وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ هود: ٦١

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ * وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ هود: ٨٤

---

[43] ينظر ، تجديد الفكر الاسلامي ، مجموعة مؤلفين ، الناشر : مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود المركز الثقافي العربي ، ط: الاولى 1989م ، 51.

[44] ينظر ، الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي، 234/1 - 235.

[45] ينظر ، الأثر النفسي للقرآن ، العسال ، 69.

وقد اشتركت كل الأُمم الظالمة في هذا التصرف ، ولكننا عندما نتعمق في النصوص القرآنية نجد أنَّ هناك فروقاً بين هؤلاء الأقوام في جرائمهم وفسادهم ، فلا بدَّ من دراسة السياق التاريخي والخصائص الاجتماعية عند التعرض لدراسة الواقع الاجتماعي للأُمم والشعوب حتى نتمكن من إدراك قصد القرآن الكريم المتمثل في بيان السلوكيات المنحرفة لكلِّ أمة ؛ لأنَّ معرفة الواقع شرط ضروري لمعرفةِ حكم هذا الواقع من خلال النصوص القرآنية الكريمة([46]).

ومن خلال ما تقدم يظهر للباحث أنَّ القرآن الكريم ليس بكتابٍ مشتملٍ على قوانينٍ وأنظمةٍ دستوريةٍ فحسبٌ، بل هو كتابٌ سماويٌّ قبل كل شيء ،إنسانيَّ الخطاب لم يُصدر أوامرهُ من باب الفرض الجازم، وإنَّما نجد في الكتاب الكريم وجوهاً متعددة لسن القوانين، فتارةً يتمثل الأمر الإلهي بالأحكام الشرعية البينة ، وتارةً بالأمثال القرآنية وما تحملَهُ في مضامينها ، والقصص القرآني وما يُستنبط من تفاصيلها التاريخية ، وغالباً ما يُقابل كل ذلك تفسيرٌ شافٍ أمَّا من الكتاب الكريم نفسهُ أو بالسُنَّة النبوية الشارحة ، وما ذلك إلاَّ من باب التكريم الإلهي للنفس الإنسانية وتعبيرٌ واضح على قدرة الدين الخاتم في تنفيذ الواقعية في صورتي التخطيط والتطبيق، فقد أقرَّ الدين الإسلامي القيم النفسية والاجتماعية والمادية جميعاً في تكاملٍ يستهدف تغطية حاجات الإنسان ويرتفع بهِ عن الأطماع والشهوات وذلك من خلال تركيز الإسلام على القيم الإنسانية إنطلاقاً من أصدق اتجاهاتهِ المتمثلة بالفطرة وسعى لحمايتها وإحاطة الكيان الإنساني جسماً وروحاً من أنْ يهلكهُ الإسراف في اللذات والخروج عن التوازن النفسي ([47]).

الخاتمـــــــــــــــــــة

ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث :

ـ إنَّ خصائص ومميزات القصة القرآنية تشترك في بعض محاورها مع خصائص ومميزات سائر التشريعات الإلهية، وهذا أهم ما يميز القصص القرآني عن سائر النتاجات البشرية في مجال القصص والروايات.

ـ إيجاد الحلول الناجعة لمشكلات الحياة الإنسانية يتوقف على مدى تفعيل دور المقاصد القرآنية في كافةِ أنواعها ، وهذا الأمر يتطلب مدارسة القرآن الكريم وفق أساسٍ علميٍّ سليم.

ـ إنَّ القصص القرآني لم يرد للعظة والاعتبار فحسب ، وإنما يُعد أيضاً مادةً إلهيةً يُستنبط منها كل ما يحتاجهُ الانسان المسلم من تشريعاتٍ وأحكامٍ وتوجيهاتٍ على جميع الأصعدة التربوية والاقتصادية والسياسية وغير ذلك.

فهرس المصـــــــــادر والمراجـــــــــــــع

- القـــــرآن الكريـــــــم.

[46] ينظر ، القرآن حكمة الحياة ، المدرسي ، 71 ـ 72.

[47] ينظر، مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الاسلام ، انور الجندي، 30 ـ 31.

1. الأثر النفسي للقرآن الكريم ، د. خليفة العسال.
2. أزمة العقل المسلم ، د. عبد الحميد احمد أبو سليمان.
3. الاسلام والحضارة الانسانية ، عباس محمود العقاد ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ـ مصر.
4. الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،بيروت/لبنان.
5. بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي ت(817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية / لجنة إحياء التراث الإسلامي ـ القاهرة.
6. تجديد الفكر الاسلامي ، مجموعة مؤلفين ، الناشر : مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود المركز الثقافي العربي ، الطبعة الاولى 1989م.
7. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد بن عاشور ت(1393هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984 هـ.
8. التصور الاسلامي للوجود ، حسن الحياري، دار البشير للنشر والتوزيع.
9. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب ، دار الشروق / القاهرة.
10. التعريفات ، علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني ت(816هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ ،98/1 .99.مصر.
11. التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ت(1400هـ)،دار الانوار للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت.
12. التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي ت(606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – 1420 هـ.
13. التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة ، دار التعارف للمطبوعات . بيروت ،2011م.
14. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (393هـ)،تحقيق:أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين، سنة النشر: 1990،الطبعة الرابعة.
15. ضوابط المصلحة في الشريعة الاسلامية، محمد سعيد البوطي ، مؤسسة الرسالة ـ دمشق.
16. عالمية الاسلام ، انور الجندي ، الناشر : دار المعارف ـ القاهرة.
17. فضل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، ابو الوليد بن رشد ت(595هـ)، ،تحقيق: د. محمد عمارة ،الناشر: دار المعارف . القاهرة ،الطبعة الثالثة.
18. فن القصة ، د.محمد يوسف نجم ، ،دار بيروت للطباعة والنشر . بيروت.
19. القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ت(817 هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ.

20. القرآن الكريم هيمنته وخاتميته وعالميته وخلوده ، د. احمد علي الامام ، مجلة كلية القرآن الكريم ، العدد الاول 1427هـ.
21. القرآن حكمة الحياة ، محمد تقي المدرسي، دار الكلمة الطيبة /بيروت، الطبعة الاولى 1415هـ.
22. القصة في القرآن الكريم (بحث مقدم في مادة علوم القرآن)، احمد الجوهري عبد الجواد ، اشراف الدكتور عبد الرحمن محمد علي ، الجامعة الامريكية المفتوحة.
23. قصص القرآن ، محمد بكر اسماعيل، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع/ مصر، الطبعة الثانية 1418هـ.
24. قصص القرآن الكريم ،د. فضل حسن عباس ، دار النفائس/ الاردن ،الطبعة الثالثة ـ 2010م.
25. كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ت(170هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
26. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، جار الله الزمخشري ت (538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – 1407 هـ.
27. لسان العرب ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري ت(711هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت ، الطبعة: الثالثة – 1414 هـ.
28. مذاهب الحكام في نوازل الاحكام، القاضي عياض ت(544هـ)،تحقيق: د. محمد بن شريفة، دار الغرب الاسلامي.
29. مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الاسلام، انور الجندي ، الشركة المصرية للطباعة والنشر ـ القاهرة ،السنة الرابعة العدد الحادي والخمسون 1392هـ.
30. معالم في المنهج القرآني ، د. طه جابر العلواني.
31. المعجزة الكبرى للقرآن ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي.
32. المعجم الوسيط، احمد الزيات، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.
33. معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس الرازي ت(395هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ.
34. مفاهيم القرآن ،جعفر السبحاني ، مؤسسة التاريخ العربي ـ بيروت ، الطبعة الاولى 1431هـ.
35. مقاصد الشريعة الاسلامية ومكارمها ، علال الفاسي (1394هـ)،دار الغرب الاسلامي ،الطبعة الخامسة 1993م.
36. مقاصد الشريعة الاسلامية، ابن عاشور،تحقيق: حاتم بوسمة ،دار الكتاب اللبناني . بيروت ،2011م.
37. المقاصد العامة للشريعة الاسلامية بين الاصالة والمعاصرة ، د. احسان مير علي، دار الثقافة للجميع ـ دمشق ، الطبعة الاولى 1430هـ.

38. موقف القرآن الكريم من الفكر المادي ، د. محمد طالب مدلول ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الاولى 1428هـ.
39. الميزان في تفسير القرآن ، محمد حسين الطباطبائي ت(1402هـ) ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.
40. نظرية المقاصد عند الامام الشاطبي، احمد الريسوني ، ،تحقيق : طه العلواني ،المعهد العالمي للفكر الاسلامي / الولايات المتحدة الامريكية ، 1995م.